آيات من سورة البروج دراسة تفسيرية مقارنة

د. عبد الغفور اغلام عبد الغفور

كلية الامام الاعظم – رحمه الله – قسم اصول الدين / كركوك

المقدمة :

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فإن التفسير المقارن هو الذي يشتمل على دراسة أقوال المفسرين المتعددة في بيان معاني الآيات القرآنية على أساس الإختلافات بينهم، وإن الذي يسعى إلى خوض بحر هذا العلم عليه أن يمحصّ هذه الأقوال ليستخلص الصورة الأكمل والدلالة الأوفى للمعنى القرآني المراد.

وإني إذ شرعت بهذا البحث تنبهت إلى أهمية المنهج المقارن وجِدَتِهِ فأردت تطبيقه عملياً على آيات من سورة البروج، وإن الذي ورد في هذه السورة مِن أقوال المفسرين واختلافاتهم كلّها؛ أو جلّها منه ما يمكن الجمع بينه، إذ تكون معاني أقوالهم المذكورة مرادة، ومقصودة من الآيات، فإذا اعتمدت القول بأنّ التفسير المقارن، أو مصطلح التفسير المقارن لا يشمل هذا النوع من الاختلافات، وإنّما مداره وموضوعه على الإختلافات التي لا يمكن الجمع بينها يكون موضوع هذا البحث خارجاً عن هذا المفهوم، لذلك لمعت في ذهني فكرة التوسع في هذا المفهوم، ليكون مشتملاً على جميع ما يتعلق بمادة الإختلاف التي يمكن الجمع بينها أو التي لا يمكن الجمع بينها. وبما أنّ مضمون مصطلح التفسير المقارن اجتهادي ولا يزال في طور التشكيل والتبلور، فإني سأحاول أن أجيء بفكرة جديدة في هذا المجال وذلك بشيء مِن التجوّز في مدلول هذا المصطلح، فسأفترض أنّ الكاتب في التفسير المقارن ينبغي أنْ يقوم أولاً بالتمييز بين الأقوال التي لا يمكن الجمع بينها، وتلك التي يمكن الجمع بينها، أقصد أنّ هذه المرحلة والخطوة داخلة ضمن دراسة الباحث في هذا المجال، فالتمييز بين المجموعتين – إن صحّ التعبير – هو نتيجة المقارنة، أي: إنّ الكاتب أو الدارس قارَن بين تلك وهذه الأقوال؛ فوجد أنّها مختلفة متباينة، وقارَن بين تلك؛ فوجدا بمعنى واحد، والاختلاف فيها اختلاف تنوُّع، هذا أولاً، ثمَّ تأتي بعد ذلك مرحلة الترجيح بين الأقوال المتباينة والمتناقضة، وهذا ثانياً، أمّا المرحلة الثالثة؛ فيمكن أن يدرس

الباحث فيها الاختلافات؛ التي لا يبدو أنّ بينها تعارضاً وتناقضاً؛ حيث إنّ بعض تلك الأقوال لا تناسب السياق ولا تقوم على ساق، فلا تعدُّ خلافاً يُلتَفَتُ إليه، وكما قيل:

وليس كلُّ خلافٍ جاء مُعْتَبَراً إلاّ خلافٌ له حظٌّ مِن النظر

وأرى – والله أعلم – أنّ ما لا ينبغي الترجيح بينهما هي الأقوال التي تكون في درجة واحدة من حيث الصحة والدليل؛ فمثلاً نلحظ أنّ بعض الأقوال فيها اختزال، واجتزاء لِما ينبغي أنْ تحمل عليه معاني الكتاب العزيز؛ كالقول بأنّ الشاهد الحجر الأسود، والمشهود الحاج، أي: مشهود له. كما سيأتي. كما أنّ بعضها يظهر فيه نظر المفسر إلى أحد المعاني اللغوية للكلمة، والغفلة عن المعاني الأخرى، والغفلة كذلك عن سياق الآية وسياقها الواردة فيه، ومن هذا الباب تدخل هذه الآراء المتقاربة في التفسير المقارن، ويكون العمل فيها إذ ذاك بإيراد أقوال المفسرين في معاني الآيات، وبيان دليل كلّ قول ومستنده، وافتراض الدليل لِما ليس له دليل، وبيان أسباب هذه الاختلافات والأقوال، وبيان كيف يتمّ الجمع بينها، وأيُّها أعمُّ وأشمل وأنسب لانضواء الأقوال الأخرى تحته، وبيان سبب لجوء المفسِّر إلى اختيار قول معيّن وإهمال بقيَّة الأقوال، وهل لهذا ارتباط بمنهج المفسِّر أو بمذهبه العقدي والفقهي ؟.

وممّا يستأنس به في هذه الدراسة المقارنة أن دراسات الفقه المقارن والدراسات اللغوية المقارنة تشمل جميع المسائل المختلف بها والمتفق عليها للخروج بصورة وافية ودراسة موضوعية للمادة المدروسة.

وسيكون البحث في هذه السورة مقتصراً على خمسة مطالب؛ وهي كالتالي:

المطلب الأول: الخلاف في معنى البروج، المطلب الثاني: الخلاف في معنى شاهد ومشهود. المطلب الثالث: الخلاف في جواب القسم، المطلب الرابع: الخلاف في المقصود بأصحاب الأخدود، المطلب الخامس: الخلاف في المقصود من الذين فتنوا المؤمنين وعلى مَنْ وقع الإحراق بالنار، والخاتمة: وذكرتُ فيها أهمّ النتائج التي توصلتُ إليها أثناء كتابة البحث.

وصلى الله وسلم وبارك على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بين يدي السورة

اسم السورة

قبل أن أذكر اسم السورة لابد أن نعرف هل أسماء السور توقيفية؟

جمهور العلماء على أن أسماء السور توقيفية حيث كان جبريل يعلّم النبي ﷺ أن يضع آية كذا في موضع كذا من سورة كذا، وقال السيوطي: وقد ثبت جميع السورة بالتوقيف من الأحاديث والآثار[١]، والإمام السيوطي يقصد بذلك الأسماء التوقيفية التي اشتهرت بها السورة وإن وجد بعض الأسماء الاجتهادية التي وضعها الصحابة رضي الله عنهم، فقال رحمه الله: " ظاهره أنه لا يجوز إلا بالتوقيف من النبي ﷺ والمراد الاسم الذي تذكر به السورة وتشتهر وإلا فقد سمى جماعة من الصحابة والتابعين سوراً بأسماء من عندهم كما سمى حذيفة التوبة بالفاضحة وسورة العذاب"[٢] وبناءً على هذا التقسيم فيمكننا أن نقول أن لسورة البروج إسمين: أحدهما: توقيفي، والآخر اجتهادي.أما الاسم التوقيفي: (سورة البروج) وهو مأخوذ من قوله تعالى﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾ [٣]، وقد اشتهرت بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير والسنة. وسبب التسمية ظاهر، وذلك لأن الله تعالى افتتح هذه السورة الكريمة بالقسم بالسماء ذات البروج. أما الاسم الاجتهادي: (سورة السماء ذات البروج) وقد جاءت هذه التسمية عن جابر بن سمرة رض الله عنه " أن النبي ﷺ كان يقرأ الظهر والعصر بالسماء والطارق والسماء ذات البروج" [٤] وسبب التسمية بهذا الاسم ظاهر أيضاً لأنه تسمية للسورة بأول جملة فيها من غير ذكر لواو القسم.

المطلب الأول

الخلاف في معنى البروج

ورد في تفسير البروج أقوال كثيرة؛ منها: القصور، الكواكب، منازل الشمس والقمر، وغيرها، ولكن سيقتصر الحديث عن الأقوال التي يبدو أنّ لها دليلاً تستند إليه:

القصور: وهو مروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – والضحاك، ولا شكّ أنّ مستند هذا القول المعنى اللغوي لكلمة (برج) فقد قال ابن فارس: الباء والجيم أصلان: أحدهما: البروز والظهور، والآخر: الوزَرُ والملجأ..، والأصل الثاني: البُرْجُ؛ واحدُ بروج السماء، وأصل البروج: الحصون والقصور؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾[٥]، ويقال: ثوبٌ مبرَّجٌ؛ إذا كان

عليه صور البُرُوج[٦]. وقال الراغب: البروج: القصور، الواحد: برج، وبه سمِّي بروج السماء؛ لمنازلها المختصة بها؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾ [٧]، وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا ﴾[٨][٩].والاعتماد على معنى لغوي واحد للكلمة والغفلة عن استعمالاتها ومعانيها الأخرى وسياقها الواردة فيها منهج غير سوي في تفسير كتاب الله، فما معنى القصور والحصون في السماء !؟ إلاّ إذا كانت من باب التشبيه، وسيأتي بيانه لاحقاً، وإنّما أكثر آيات القرآن التي تتحدَّث عن بديع صنع الله في السماء تذكر ما فيها من كواكب ونجوم؛ يرى المخاطبون آثارها ويدركون ثمارها.

النجوم العظام: وهو مروي عن مجاهد وقتادة ومقاتل، وربّما الذي دعا إلى هذا القول اقتران ذكر السماء بنجومها في عدّة مواضع من الكتاب الكريم؛ منها قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ [١٠]، ثمّ تفسير الطارق بأنّه النجم الثاقب ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ [١١].

الكواكب: وربّما الذي دعا إلى هذا القول أنّ الله – تبارك وتعالى – ذكر أنّه زيَّن السماء الدنيا بالكواكب؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾ [١٢].

والقول بأنّها الكواكب أو النجوم قولان؛ يمكن الجمع بينهما؛ لأنّ الكواكب هي عبارة عن نجوم والدليل على ذلك أنّه – تعالى – ذكر أنّ كلاً من الكواكب والنجوم هي زينة للسماء وحفظ لها من الشياطين؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴾[١٣]، وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [١٤].

وربما ممّا يؤيد أنّ البروج ليست النجوم أنّه تعالى ذكر – هنا – أنّه جعل في السماء بروجاً، ثمّ عطف بالواو أنّه زيَّنها للناظرين ما يوحي بأنّ ما جُعل زينة لها هو غير تلك البروج، والآيات تبيّن أنّ الذي زيّنت به السماء هو نفسه جعل رجوماً للشياطين؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [١٥].

منازل الشمس والقمر: وهو ما رجّحه الطبري، وذلك أنّ البروج: جمع بُرْج، وهي منازل تُتَّخذ عالية عن الأرض مرتفعة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾[١٦]، هي منازل

مرتفعة عالية في السماء، وهي اثنا عشر برجاً، فمسير القمر في كلِّ برج منها يومان وثلث، فذلك ثمانية وعشرون منزلاً، ثمّ يستسرّ ليلتين، ومسير الشمس في كلّ برج منها شهر [١٧].

وممّا يؤيد ما ذهب إليه الطبري قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾[١٨]، وقوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾[١٩]، فقد ذكر في هذه الآية أنّ ممّا جعل في السماء البروج، ثمّ عطف عليها السراج، وهي الشمس؛ كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [٢٠]، ممّا يدلُّ على أنّ البروج غير الشمس والقمر، وليست النجوم والكواكب؛ كما سبق، فلم يبق إلاّ تكون هي المنازل، وقد جاءت الإشارة إليها – أي: المنازل – وإلى فائدتها في مواطن منها: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [٢١]، وقوله: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [٢٢]، وقوله: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [٢٣]، وقوله: ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [٢٤]، ولا شكّ في أنّ معرفة الحساب بوساطة الشمس، والقمر؛ مرتبط بمعرفة منازلها. وكما جعلت النجوم والكواكب زينة للسماء الدنيا، وحفظاً لها ورجوماً للشياطين، وعلامات ودلائل لهداية الناس، فإنّ الشمس والقمر ومنازلهما جعلت لمعرفة عدد السنين الحساب. وبهذا يظهر – والله أعلم – أنّ القول الأخير هو الأنسب والأصوب؛ إلاّ أنْ يكون المقصود في القول الأول أنّ هذه المنازل شبهت بالقصور والحصون، وربما هذا ما يشير إليه بعضهم عندما يقول: أصل البروج الحصون؛ كما ورد عند ابن الجوزي في زاد المسير منسوباً لابن قتيبة، فهو يشير إلى أنّ هذا هو المعنى الأصلي للكلمة وليس معناها في الآية [٢٥]

المطلب الثاني

الخلاف في معنى شاهد ومشهود

ورد في كتب التفسير في معنى الشاهد والمشهود ما يزيد على أربعة وعشرين قولاً ذكرها ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير[٢٦]، ومن أسباب الاختلاف اشتقاق لفظ الشاهد والمشهود؛ هل هو من الشهود بمعنى: الحضور، أم من الشهادة ؟ وكلُّ قول من هذه الأقوال لا يعدم آية؛ تشهد له، أو أثراً يستند إليه، وذكر ابن جرير الطبري منها ثمانية أقوال ولم يرجّح واحد منها[٢٧]، وسنذكر أربعة أقوال منها كأمثلة ثم نبين القول الراجح.

القول الأول: الشاهد: يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة، رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢٨] وبه قال علي، وابن عباس في رواية، وابن زيد.

القول الثاني: الشاهد: محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة، وهو مروي عن ابن عباس في رواية أخرى[٢٩]،

القول الثالث: الشاهد: ابن آدم، والمشهود: يوم القيامة وهو قول مجاهد[٣٠]، وعكرمة

القول الرابع: الشاهد: يوم الجمعة، ومشهود: يوم عرفة.

وسمِّي يوم الجمعة شاهداً؛ لأنّه يشهد على كلِّ عامل بما عمل فيه، وسمِّي يوم عرفة مشهوداً؛ لأنّ الناس يشهدون فيه موسم الحج وتشهده الملائكة، وقيل: الحجر الأسود والحاج، وغيرها من الأقوال التي تناقلها المفسرون خلفاً عن سلف[٣١].

ولا يعدم – كما ذكرت – أيّ قول من الأقوال السابقة التي جعلت الشاهد والمشهود يوماً من الأيام شاهداً؛ يشهد له من آية أو حديث، لكن كل يوم مِن أيام الدنيا يمكن أنْ يكون شاهداً على الإنسان بما عمل فيه؛ كما قال القرطبي: تعليقاً على قول القشيري: إنّ يوم الجمعة يشهد على كل عامل بما عمل فيه؛ قال: وكذلك سائر الأيام والليالي، فكل يوم شاهد، وكذا كلّ ليلة، واستدلّ بما رواه أبو نعيم عن النبي ﷺ قال: (ليس مِنْ يوم يأتي على العبد إلاّ ينادي فيه: يا ابن آدم؛ أنا خَلْقٌ جديد، وأنا فيما تعمل عليك شهيد، فاعمل خيراً؛ أشهدُ لك به غداً، فإنّي لو قد مضيتُ لم ترني أبداً، ويقول الليل مثل ذلك)[٣٢]. وقال ابن عاشور بعد أن ساق حديث الترمذي السابق: ((ومحمل هذا الحديث على أنّ هذا ممّا يراد في الآية من وصف (شاهد) ووصف (مشهود) فهو من حَمْل الآية على ما يحتمله اللفظ في حقيقة ومجاز)) [٣٣]. وقال القرطبي بعد أنْ أورد الأقوال في معنى الشاهد والمشهود: قلت: وقد يشهد المال على صاحبه، والأرض بما عمل عليها[٣٤]؛ ففي صحيح مسلم عن النبي ﷺ: (..،وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ، وَالْيَتِيمَ، وَابْنَ السَّبِيلِ – أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٣٥].وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة قال: (قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾[٣٦]، قال: أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّ أخبارَها أنْ تشهَدَ على كلِّ عبد أو أَمَةٍ بما عَمِلَ على ظهرها، تقول: عَمِلَ يوم كذا كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها)[٣٧]. ويقول الطبري جامعاً بين الأقوال: ((والصواب من القول في ذلك عندنا: أنْ يقال: إنَّ الله أقسم بشاهد شهد، ومشهود شهد، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أيّ شاهد وأيّ مشهود أراد، وكلّ الذي ذكرنا أنّ

العلماء قالوا: هو المعنيّ ممّا يستحقّ أن يُقال له: شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)) [٣٨]. ويقول ابن العربي: ((ويصحُّ أنْ يكون الله ورسله والملائكة والمؤمنين والحجر الأسود، وقد يكون المشهود عليه الإنسان، والمشهود فيه يوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم النحر، وأيام المناسك كلّها، ويوم القيامة، وليس إلى التخصيص سبيل بغير أثر صحيح)) [٣٩]. يقول القاسمي في أسباب هذه الاختلافات: ((وتخصيص بعض المفسرين بعضاً ممّا يتناوله لفظهما لعلة؛ لأنّه الأهم والأولى، أو الأعرف، أو الأظهر؛ لقرينة عنده، وإلاّ فاللفظ على عمومه؛ حتى يقوم برهان على تخصيصه)) [٤٠].ومشهود: تحتمل: مشهود به، أو مشهود له، أو عليه، أو فيه، وهذا من إيجاز القرآن البديع؛ فمثلاً القول بأنّ المشهود تعني (لا إله إلاّ الله) فهي مشهود به، والقول بأنّه النبي محمد ﷺ فهو مشهود له، والقول بأنّه يوم القيامة مثلاً فهو مشهود فيه، والقول بأنّه الأُمم أو الناس أو الإنسان فهو مشهود عليه. وأُفيد العموم مِن تنكير لفظ (شاهد ومشهود)؛ فيكون المقصود كلّ شاهد شهد، وكل مشهود شُهِد به، أو شهد له، أو شهد عليه.والخلاصة: في معنى الشاهد والمشهود؛ أنّه بالنظر إلى معنى اليوم الموعود الذي اتفق على أنّه يوم القيامة؛ ينبغي المصير إلى أنّ معنى الشاهد والمشهود هو غير يوم القيامة؛ لأنّ العطف يقتضي المغايرة، فيمكن أنْ يكون قد أقسم تعالى بيوم القيامة، ثم أقسم بما يحصل فيه، ومنها شهادة الأنبياء والحفظة، وشهادة الخلق على بعضهم، وشهادة الأعضاء، وحتى شهادة الأيام التي ذُكرت سواء كانت هي التي تشهد بما عُمل فيها أو مشهودة بمعنى: تشهدها الملائكة، إنّما المقصود من ذلك كلّه أنْ تكون في يوم القيامة؛ كما هو معلوم، وكلُّ ذلك ممكن ولا تعارض بينه – والله أعلم.

المطلب الثالث

الخلاف في جواب القسم

فقد أقسم الله سبحانه وتعالى في مطلع هذه السورة بالسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود، فما هو المقسم عليه؟

اختلف المفسرون في جواب هذا القسم على أربعة أقوال هي:

القول الأول: جواب القسم قوله تعالى" قتل أصحاب الأخدود" هو محذوف؛ لعلم السامع به واستدلّ الطبري على ذلك بأنّ علامة جواب القسم لا تحذفها العرب من الكلام عند ذكر الجواب؛ قال: ((وقال بعض نحويي الكوفة: يقال في التفسير: إن جواب القسم في قوله: (قُتِلَ)

كما كان قسم ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [٤١] في قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [٤٢] هذا في التفسير، قالوا: ولم نجد العرب تدع القسم بغير لام يستقبل بها أو (لا) أو (إن) أو (ما)، فإنْ يكن ذلك كذلك؛ فكأنه مما ترك فيه الجواب، ثم استؤنف موضع الجواب بالخبر، كما قيل: (يأَيُّهَا الإنسان) في كثير من الكلام. وأولى الأقوال في ذلك: أن جواب القسم في ذلك متروك، والخبر مستأنف؛ لأنّ علامة جواب القسم لا تحذفها العرب من الكلام إذا أجابته)) [٤٣].

ثمّ اختلفوا في تقدير هذا المحذوف؛ فقيل:

أ. تقديره: أنّ كفار قريش ملعونون؛ كما لعن أصحاب الأخدود، قال الآلوسي: ((الأظهر أنّها دعائية دالة على الجواب؛ كأنّه قيل: أقسم بهذه الأشياء إنَّ كفار قريش لملعونون أحقاء بأن يقال فيها قتلوا كما هو شأن أصحاب الأخدود لما أن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى ممن تقدمهم من التعذيب لأهل الإيمان وصبرهم على ذلك حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أنهم مثل أولئك عند الله ﷻ في كونهم ملعونين مطرودين))[٤٤].

ب . وقيل: لتبعثنَّ، وهو اختيار ابن جرير، وابن الأنباري[٤٥].

ج . وقيل: تقديره إنّهم لمقتولون؛ كما قتل أصحاب الأخدود؛ فيكون وعداً له ﷺ بقتل الكفرة المتمردين؛ لإعلاء دينه، ويكون معجزة بقتل رؤوسهم في غزوة بدر، وظاهر هذا القول – كما يقول الآلوسي –((إبقاء القتل على حقيقته، وعدّ الجملة خبرية)) [٤٦].

القول الثاني: الجواب مقدر وبه قال الزمخشري[٤٧].

القول الثالث: المعنى: لَقُتِلَ، أو لقد قُتِلَ أصحاب الأخدود، وحذفت اللاّم لطول الكلام، والمذكور على هذا التقدير هو جزء من الجواب، وشبَّهوه بالقسم في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾[٤٨]، وجوابه قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[٤٩][٥٠]، و – هنا – نلاحظ أنّ المستدل به ليس دليلاً، بل هو يفتقر إلى الدليل؛ لأنّ هناك مَن قال: إنّ جواب القسم هناك محذوف، وأنّها جملة استئنافية[٥١]، وهذا منهج في الاستدلال غير سديد ولا مفيد، وهو أنْ يستدل بما تطرَّق إليه الاحتمال.

القول الرابع: جواب القسم، إنّه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [٥٢][٥٣]، ذكر ابن عاشور: ((إن كان هذا جواباً للقسم على قول بعض المفسرين كما تقدم كان ما بين القسم وما بين هذا كلاما معترضا يقصد منه التوطئة لوعيدهم بالعذاب والهلاك بذكر ما توعد به نظيرهم، وإن كان الجواب في قوله: (قتل أصحاب الأخدود) كان قوله: (إن الذين فتنوا المؤمنين) بمنزلة الفذلكة[٥٤]؛ لِمَا أقسم عليه إذ المقصود بالقسم وما أقسم عليه؛ هو تهديد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات من مشركي قريش وتأكيد الخبر ب(إن) للرد على المشركين الذين ينكرون أن تكون عليهم تبعة من فتن المؤمنين))[٥٥]. والراجح – والله أعلم – أنّه محذوف، وقد يكون عدم ذكر المقسم عليه أبلغ مِن ذكره أحياناً؛ لِما فيه مِن الإبهام والتهويل الذي تذهب النفس في تأويله كلَّ مذهب، وهو المناسب للعموم ليشمل كلّ ما ذُكر من التقديرات، وهو أسلوب مستعمل، فهو كما يقول المتوعد: والله لَإنْ لم تفعل كذا وكذا لأفعلنّ بك ما لا يخطر على بال مثلاً، فهنا لا شكّ في أنّ عدم ذكر المتوعد به؛ قد زاد الوعيد تهويلاً، وتعظيماً.

المطلب الرابع

الخلاف في المقصود بأصحاب الأخدود

اختلف فيهم؛ هل أصحاب الأخدود هم مَن حفروا الأخدود من الكفار؟ أم مَنْ رُموا فيه من المؤمنين ؟ وسبب الاختلاف احتمال لفظ الصحبة للآمرين بجعل الأخدود والمباشرين لحفره وتسعيره، والقائمين على إلقاء المؤمنين فيه، والذين أُلقوا فيه من المؤمنين، فمن قال: إنّهم المؤمنون؛ جعل الجملة خبرية، ورأى إبقاء لفظ (قُتل) على ظاهره، ولم ير حاجة إلى تأويله باللعن، وهو يحتمل إلى جانب ذلك أنْ يكون المقصود منها – أيضاً – الكفار الذين قاموا بالإحراق. [٥٦] ومَن جعل الجملة دعائية؛ فلا تحتمل على رأيه إلاّ أنْ يكون المقصود بها من حفروا الأخدود من الكفار، واستدل مَن قال ذلك بما ورد في بقية السورة، وهو قوله تعالى: ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ [٥٧]، فعدّه بيان وتخصيص لِما سبق[٥٨] وهذا القول هو الأولى؛ لِما هو المعروف من أُسلوب القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾[٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾[٦١].قال ابن عطية[٦٢]: وقيل: المعنى فعلَ الله بهم ذلك؛ لأنّهم أهل له، فهو على جهة الدعاء بحسب البشر، لا أنّ الله يدعو على أحد، وقيل: عن ابن عباس؛ معناه: لعن، وهذا تفسير بالمعنى، وقيل: هو

إخبار بأنّ النار قتلتهم، قاله الربيع بن أنس[٦٣][٦٤]. وجَعْلُها دعائية أولى مِن جعلِها خبرية؛ إذ لم يُعهد في القرآن استعمال هذا الأسلوب في الإخبار، ثمّ ما الحاجة إلى القسم على قصة معروفة للعرب على القول بأنّ جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾[٦٥]. وقال ابن عطية: ورأيتُ في بعض الكتب؛ أنّ ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ هو محرق وآله الذي حرق مِن بني تميم المائة، ويعترض هذا القول بقوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴾[٦٦]، فينفصل عن هذا الاعتراض بأنّ هذا الكلام مِن قصة أصحاب الأخدود، وأنّ المراد بقوله: ﴿ وَهُمۡ ﴾: قريش؛ الذين كانوا يفتنون المؤمنين والمؤمنات[٦٧]. ثمّ اختلفوا في تعيين أصحاب القصة، وقد وردت فيهم أقوال وكلّها مبنية على أحاديث وروايات في أسباب النزول، فزعم مقاتل[٦٨] أنّ أصحاب الأخدود ثلاثة؛ أي: ثلاث قصص مختلفة كل واحدة في مكان، واحد بنجران[٦٩]، والآخر بالشام، وثالث بفارس[٧٠]. وقال بعضهم: إنّهم كانوا من الحبشة، قاله الخليفة علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه –، وقيل: مِن بني إسرائيل، قاله ابن عباس، وقيل: مِن أهل اليمن، قاله الحسن، وقال الضحاك[٧١]: كانوا من نصارى اليمن، وذلك قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة، وقيل: مِن أهل نجران، قاله مجاهد، وقيل: مِن النبط، قاله عكرمة [٧٢]. قال ابن عاشور – رحمه الله – ((وهذه قصة اختلف الرواة في تعيينها وفي تعيين المراد منها في هذه الآية. والروايات كلها تقتضي أنَّ المفتونين بالأخدود قوم اتبعوا النصرانية في بلاد اليمن على أكثر الروايات، أو في بلاد الحبشة على بعض الروايات، وذكرت فيها روايات متقاربة تختلف بالإجمال والتفصيل، والترتيب، والزيادة، والتعيين وأصحها ما رواه مسلم والترمذي عن صهيب أن النبي ﷺ قص هذه القصة على أصحابه، وليس فيما روي تصريح بأن النبي ﷺ ساقها تفسيراً لهذه الآية، والترمذي ساق حديثها في تفسير سورة البروج))[٧٣].ولا مجال للاجتهاد في تعيينهم إلاّ مِن جهة الترجيح بين الأحاديث والروايات، ولا كبير فائدة في تعيينهم؛ إذ العبرة بالأحداث لا بالأشخاص.

ثمّ اختلفوا في معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴾

فقال بعضهم: أي؛ يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنّ أحداً لم يقصر فيما أمر به، أو أنّهم شهود؛ يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة، ﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٧٤].

وقيل: على؛ بمعنى: مع، والمعنى: وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم؛ لغاية قسوة قلوبهم، وهذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم، وتنطق به الروايات المشهورة؛ كما يقول أبو السعود(٧٥). قال سيد قطب رحمه الله: وهو تعبير يصور موقفهم ومشهدهم، وهم يوقدون النار، ويلقون بالمؤمنين والمؤمنات فيها وهم قعود على النار، قريبون من عملية التعذيب البشعة، يشاهدون أطوار التعذيب، وفعل النار في الأجسام في لذة وسعار، كأنما يثبتون في حسهم هذا المشهد البشع الشنيع(٧٦).وقيل: المقصود بـ (هم) كفار مكة الذين كانوا يفتنون المؤمنين والمؤمنات، وهو بعيد؛ لِما فيه مِن تشتيت للضمائر(٧٧).

المطلب الخامس

الخلاف في المقصود من الذين فتنوا المؤمنين وعلى مَنْ وقع الإحراق بالنار

قيل: إمّا المقصود بالذين فتنوا المؤمنين: أصحاب الأخدود خاصة، وبالمفتونين: المطروحين في الأخدود، وإمّا الذين بلوهم في ذلك بالأذية والتعذيب على الإطلاق، وهم داخلون في جملتهم دخولاً أولياً (٧٨)، والآية تشمل كلّ مَن آذى المؤمنين وفتنهم في كل عصر ومصر.

ويرى ابن عطية أنّ مَن قال: إنّ هذه الآيات الأواخر في قريش؛ جعلَ الفتنة: الامتحان والتعذيب، ويقوي هذا التأويل بعض التقوية – كما يقول – قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ (٧٩)؛ لأنّ هذا اللفظ في قريش أحكم منه في أولئك الذين قد عُلم أنّهم ماتوا على كفرهم، وأمّا قريش؛ فكان فيهم وقت نزول الآية مَن تاب بعد ذلك وآمن بنبينا محمد ﷺ (٨٠). ويرى ابن عاشور أنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات هم مشركو قريش وليس أصحاب الأخدود؛ لأنّه لا يلاقي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ إذ هو تعريض بالترغيب في التوبة، ولا يلاقي دخول الفاء في خبر (إنَّ) من قوله تعالى: ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ كما يقول (٨١). ولا يلزم مِن ذكر التوبة – هنا – أنْ تكون فيمن لم يمت، فهي إخبار عمّن مات، ولم يتب مِنْ فعله، ولاسيما أنّها جاءت بالماضي (فتنوا) ولا يمتنع أنْ يكون فيها تهديد ووعيد لمن فعل فعلهم مِن المشركين.واختلف فيمن وقع عليه الإحراق بالنار: فقال قوم: هم المؤمنون الذين رُموا فيها، وهو الذي يفيده ظاهر القرآن والروايات الواردة، وقال آخرون: إنّهم الذين قاموا بإيقاد النار، وسبب الاختلاف احتمال السياق للمعنيين، وروايات وردت في كتب التفسير. وقد نقل الطبري – رحمه الله – القول الأول في سياق الروايات الواردة في ذلك، ثم قال: (وقال آخرون: بل الذين أحرقتهم النار هم الكفار الذين فتنوا المؤمنين..، عن

الربيع بن أنس، قال: كان أصحاب الأخدود قوماً مؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، وإن جبارًا من عَبَدَة الأوثان أرسل إليهم، فعرض عليهم الدخول في دينه، فأبوا، فخدّ أخدودًا، وأوقد فيه نارًا، ثم خيرهم بين الدخول في دينه، وبين إلقائهم في النار، فاختاروا إلقاءهم في النار، على الرجوع عن دينهم، فألقوا في النار، فنجَّى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار من الحريق، بأن قبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار، وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم، فذلك قول الله: (فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) في الآخرة (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) في الدنيا)[٨٢]. ثمّ رجّح ما أفادته رواية الربيع فقال: (وأولى التأويلين بقوله: (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ): لُعِنَ أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخدود. وإنما قلت: ذلك أولى التأويلين بالصواب؛ للذي ذكرنا عن الربيع من العلة، وهو أن الله أخبر أن لهم عذاب الحريق مع عذاب جهنم، ولو لم يكونوا أحرقوا في الدنيا، لم يكن لقوله: (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) معنى مفهوم، مع إخباره أن لهم عذاب جهنم؛ لأن عذاب جهنم هو عذاب الحريق مع سائر أنواع عذابها في الآخرة)[٨٣]. وفي زاد المسير: (قوله عز وجل: إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أي: أحرقوهم، وعذبوهم. كقوله ﷻ: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[٨٤] ، ثم لم يتوبوا من شركهم وفعلهم ذلك فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما أحرقوا المؤمنين، وكلا العذابين في جهنم عند الأكثرين وقد ذهب الربيع بن أنس في جماعة إلى أن النار ارتفعت إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم، فذلك عذاب الحريق في الدنيا. قال الربيع: وقبض الله أرواح المؤمنين قبل أن تمسهم النار. وحكى الفراء[٨٥] أنَّ المؤمنين نجوا من النار، وأنها ارتفعت فأحرقت الكفرة)[٨٦]. وهو ليس بغريب فقد أنجى الله إبراهيم ﷺ من النار، ومَن قال ذلك جعل الحريق في الدنيا. ولكنّ الأولى اختيار ما تدلُّ عليه ظواهر الآيات، وأغلب الروايات وهو أنّ الإحراق وقع للمؤمنين بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ والفتنة الحقيقية إنّما تكون بالإلقاء في النار لا بمجرَّد محاولة ذلك.

الخاتمة

فبعد إعداد هذه الورقات يمكنني أنْ أستخلص الآتي:

١. إنّ التفسير المقارن هو المنهج المناسب لدراسة تعدد الأقوال في معاني الآيات القرآنية وكثرة الاحتمالات؛ التي تشتت ذهن القارئ وتوقعه في حيرة لا مخرج له منها إلاّ صرف النظر عن تلك الأقوال جملةً وتفصيلاً، فكثيراً ما تشغل هذه الأقوال والروايات القارئ والمتدبر عن مقاصد القرآن السامية، ومراميه البعيدة، وتحشره في معان جزئية ضيقة، وغالب ما يقع هذا في التفسير المأثور؛ حيث يحشد المفسر أحياناً عشر أقوال أو عشرين قولاً، وربما أكثر، وجلّ تلك الأقوال تكرار للكلام بألفاظ مترادفة وعبارات متقاربة لا داعي لتسويد الصحائف بها، وتكون الداهية أكبر عندما يتركك في مفازة من تلك الأقوال، لا تستبين لك سبيل، ولا يلوح لنظرك دليل.

٢. إن الله تعالى يُقسم بما يشاء من مخلوقاته لإقامة الحجة على عباده وتنبيهاً على عظمة هذه المخلوقات الدالة على عظمته وقدرته، والإشارة إلى أهمية الاشياء المُقسم بها، وبركتها وتعظيماً للأمور المُقسم عليها.

٣. إنّ التفسير المقارن يمكن أنْ يشمل دراسة جميع الأقوال المختلفة سواء كانت من اختلاف التباين والتضاد أو من اختلاف التنوّع، وذلك ببيان مِن أي النوعين هذا الاختلاف، وبيان كيفية الجمع ين تلك الأقوال المتقاربة إلى آخر ما سبقت الإشارة إليه وتكون دراسة هذه الاختلافات خطوة تسبق دراسة النوع الثاني؛ كما يسبق التفسير التحليلي التفسير الموضوعي.

٤. أخذ العبرة والعظة من قصة أصحاب الأخدود الذين فتنوا المؤمنين فتنة عظيمة بسبب إيمانهم بالله تعالى فأحرقوهم بالنار فثبت أولئك المؤمنون وصبروا على البلاء وآثروا الآخرة على الدنيا.

٥. الملاحظ من خلال المقارنة أنّ بعض المفسرين؛ يغفل في أثناء التفسير عن أنّه يتعامل مع القرآن الكريم كتاب الله ﷻ، وخاصة عندما يغرق في بيان المعنى اللغوي، ويُكثر مِن ذِكر الشواهد والأمثلة من أشعار العرب وأقوالهم، وهذا يوقعه في إيراد أو نقل معان لبعض الألفاظ أو التراكيب؛ يردّها أدنى تدبُّر للسياق الواردة فيها.

وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهوامش

(١) الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ١/ ١٤٩.

(٢) التحبير في علم التفسير، ١٧١.

(٣) سورة البروج، الآية ١.

(٤) سنن ابي داود، ١/ ٢٧٣، حديث رقم "٨٠٥" وسنن النسائي، ٢/ ٢٦٦، حديث رقم (٧٧٩)، وسنن الترمذي، ٢/١١٠، حديث رقم (٣٠٧)، ومسند الامام احمد ٣٤/ ٤٧٩، حديث رقم (٢٠٩٨٢).

(٥) سورة النساء، من الآية ٧٨.

(٦) معجم مقاييس اللغة، ص ١١٢، مادة (برج).

(٧) سورة البروج، الآية ١.

(٨) سورة الفرقان، من الآية ٦١.

(٩) ينظر، المفردات في غريب القرآن، ص ٥٢، مادة (برج).

(١٠) سورة الطارق، الآية ١.

(١١) سورة الطارق، الآية ٢ – ٣.

(١٢) سورة الصافات، الآية ٦.

(١٣) سورة الصافات، الآية ٦ – ٧.

(١٤) سورة الحجر، الآية ١٦.

(١٥) سورة الملك، الآية ٥.

(١٦) سورة النساء، من الآية ٧٨.

(١٧) ينظر، جامع البيان، ٢٤/ ٣٣٢.

(١٨) سورة الحجر، الآية ١٦.

(١٩) سورة الفرقان، الآية ٦١.

(٢٠) سورة نوح، الآية ١٦.

(٢١) سورة يونس، من الآية ٥.

(٢٢) سورة يس، الآية ٣٩.

(٢٣) سورة الأنعام، الآية ٩٦.

(٢٤) سورة الرحمن، الآية ٥.

(٢٥) ينظر، زاد المسير، ٤/ ٣٨٧.

(٢٦) زاد المسير، لابن الجوزي، ٩/٧١.

[٢٧] جامع البيان، للطبري، ٣٠/ ١٢٩-١٣٣.

[٢٨] مسند الامام أحمد، ٢٩٨/٢، حديث رقم (٧٩٦٠)، المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ٢/ ٥٦٢، حديث رقم (٣٩١٥)، وسنن البيهقي الكبرى، ١١٠/٣، حديث رقم (٥٣٥٢)، وقال الدار قطني في العلل (١١/ ١٢٠-١٢١) اختلف في رفعه على عمار فرفعه علي بن زيد بن جدنان، ووقفه يونس بن عبيد علي أبي هريرة وهو الصواب.

[٢٩] ابن أبي شيبة، ١٣٥/٧، حديث رقم (٣٤٧٧٥)، السنن الكبرى، للنسائي، ٥١٢/٦، حديث رقم (١١٦٦٣)، والدر المنثور، للسيوطي، ٨/ ٤٦٤.

[٣٠] سورة البقرة، من الآية ١٤٣.

[٣١] ينظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.

[٣٢] ينظر، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ٢٠/ ١٨٧.

[٣٣] التحرير والتنوير، ٢٣٩/٣٠.

[٣٤] تفسير القرطبي، ٢٠/ ١٨٧.

[٣٥] صحيح مسلم، ٢/ ٧٢٨، برقم (١٠٥٢).

[٣٦] سورة الزلزلة، الآية ٤.

(٣٧) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب من سورة الزلزلة، برقم (٣٣٥٣)، ٤٤٦/٥، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

[٣٨] تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٧.

[٣٩] أحكام القرآن، للابن العربي، ٤/ ٣٧١.

[٤٠] محاسن التأويل، للقاسمي، ٩/ ٣٦٧.

[٤١] الشمس: ٩.

[٤٢] الشمس: ١.

[٤٣] تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٤٠.

[٤٤] روح المعاني، للآلوسي، ٢٩٢/٣٠.

[٤٥] فتح القدير، ٥/ ٤٩٩.

[٤٦] ينظر، المصدر نفسه.

[٤٧] الكشاف، للزمخشري، ٦/ ٣٤٦.

[٤٨] سورة الشمس، الآية ١.

[٤٩] سورة الشمس، الآية ٩.

[٥٠] ينظر، تفسير الآلوسي، ٣٠/ ٥٠٤.

(٥١) ينظر، تفسير القرطبي: ٢٠/ ٥٢، والجدول في إعراب القرآن الكريم،٣٠/ ٢٩٠.

(٥٢) سورة البروج، الآية ١٢.

(٥٣) ينظر، غرائب القرآن ٦/ ٤٧٥.

(٥٤) (الفذلكة): مجمل ما فصل وخلاصته، المعجم الوسيط، ٦٧٨/٢، وينظر: تاج العروس ٢٧/ ٢٩٣.

(٥٥) التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢١٩.

(٥٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤١/٣٠؛ وأحكام القرآن، ابن العربي، ٨/ ٢٧.

(٥٧) سورة البروج، الآية ٦ – ٧.

(٥٨) أحكام القرآن، ابن العربي، ٨/ ٢٧.

(٥٩) سورة عبس، الآية ١٧.

(٦٠) سورة المدثر، الآية ١٩ – ٢٠.

(٦١) سورة الذاريات، الآية ١٠.

(٦٢) الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، شَيْخُ المفسّرِيْنَ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الحَقِّ ابْن الحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ غَالِب بن عَطِيَّةَ المُحَارِبِيّ، الغَرْنَاطِي، وَكَانَ إِمَاماً فِي الفِقْه، وَفِي التَّفْسِيْر، وَفِي العَرَبِيَّة، قوِيَّ المشَارِكَة، ذكيّاً فَطِناً مدركاً، مِنْ أَوعيَة العِلْم، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات، وتوفي بلورقة، وقيل في تاريخ وفاته سنة ٥٤١ و٥٤٦هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء، ٤٦/٣٨، والإعلام للزركلي، ٣/ ٢٨٢.

(٦٣) الربيع بن أنس البكري، ويقال الحنفي، البصري ثم الخراساني، قد لقي ابن عمر وأنس بن مالك وجابر وهرب في زمن الحجاج ودخل مرو وسكن فيها، وكانت وفاته في خلافة أبي جعفر سنة ست وثلاثين ومائة، ينظر: طبقات المفسرين للأدنروي، ١٦/١.

(٦٤) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٧/ ١٨.

(٦٥) سورة البروج، الآية ٤.

(٦٦) سورة البروج، الآية ٧.

(٦٧) المحرر الوجيز، لابن عطية، ٧/ ١٨.

(٦٨) مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء، البلخى، أبو الحسن (ت١٥٠هـ)، من أعلام المفسرين، أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، وتوفى بالبصرة، كان متروك الحديث، من كتبه: التفسير الكبير ونوادر التفسير والرد على القدرية ومتشابه القرآن والناسخ والمنسوخ والقراءات والوجوه والنظائر، الأعلام للزركلي، ج٧، ص٢٨١.

(٦٩) نجران الباب الخشبة التي يدور عليها، ونجران في عدة مواضع، منها: نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة، قالوا: سمي بنجران بن زيدان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمرها ونزلها وهو

المرعف وإنما صار إلى نجران لأنه رأى رؤيا فهالته فخرج رائدا حتى انتهى إلى واد فنزل به فسمي نجران به، معجم البلدان: ٢٦٦/٥.

(٧٠) ينظر، التحرير والتنوير لابن عاشور، ٣٠/ ٢٤١.

(٧١) الضحاك بن مزاحم، أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، حملت به أمه عامين وولد وله أسنان، وكان من أوعيه العلم، كان معلم كاتب وكان في مكتبة ثلاثة آلاف صبى وكان يطوف عليهم على حمار، وثقة أحمد وابن معين وأبو زرعة، لقى سعيد بن جبير فاخذ عنه التفسير، وكان يبلخ وسمر، فقد (ت١٠٥هـ)، وقيل: (ت١٠٦هـ). ينظر: الثقات، ابن حبان البستي، ٦/ ٤٨٠.الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ٤٤٦/٣، سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥٩٨/٤.

(٧٢) ينظر، زاد المسير، ٩/ ٧٦.

(٧٣) التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢٤١.

(٧٤) النور: ٢٤.

(٧٥) إرشاد العقل السليم، ٩/ ١٣٧.

(٧٦) في ظلال القرآن، ٦/ ٣٨٧٣.

(٧٧) ينظر، البحر المحيط: ١٠/ ٤٤٤، وروح المعاني للآلوسي، ٢٢/ ٣٢٤.

(٧٨) محاسن التأويل، ٩/ ٣٦٩.

(٧٩) سورة البروج، من الآية ١٠.

(٨٠) ينظر، المحرر الوجيز، ٧/ ١٩، والجواهر الحسان، للثعالبي، ٤/ ٤٠١.

(٨١) ينظر، التحرير والتنوير، ٣٠/ ٢١٩.

(٨٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٤٠.

(٨٣) المصدر نفسه، ٢٤/ ٣٤٢.

(٨٤) سورة الذاريات، الآية ١٣.

(٨٥) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء، الديلمي الكوفي مولى بن أسد، وقيل مولى بني منقر، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب؛ حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية، لأنه خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب، وأخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي، وتوفي الفراء سنة سبع ومائتين في طريق مكة، وعمره ثلاث وستون سنة، رحمه الله تعالى، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، ١٧٦/٦-١٧٩.

(٨٥) زاد المسير، ٩/ ٧٧ – ٧٨.

المصادر والمراجع

- بعد كتاب الله ﷻ:

١. الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، ط١، ١٤٠٧هـ، دار إحياء العلوم – بيروت.
٢. أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت:٥٤٣هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية – بيروت.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، ط٥، ١٩٨٠م، دار العلم للملايين، بيروت.
٥. البحر المحيط: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، ١٤٢٠هـ، دار الفكر – بيروت.
٦. تاج العروس من جواهر القاموس محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٧. التحبير في علم التفسير، للإمام السيوطي، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
٨. التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، ط١، ١٤٨١هـ ٢٠٠٠م، مؤسسة التاريخ العربي.
٩. الثقات، ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط١، ١٣٩٥هـ –١٩٧٥م، دار الفكر، بيروت.
١٠. جامع البيان في تأويل آي القرآن: محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.
١١. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، ط٥، ١٤١٧هـ –١٩٩٦م، دار الكتب العلمية.
١٢. الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ) دار الرشيد، دمشق –مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة الرابعة (١٤١٨هـ).
١٣. الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ١٩٩٣م، دار الفكر– بيروت.
١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الآلوسي): لأبي الثناء، محمود شكري الآلوسي، تحقيق: محمد أحمد الأمد، وغيره، ط١، ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٦. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر–بيروت.

١٧. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ١٤١٤هـ –١٩٩٤م، مكتبة دار الباز –مكة المكرمة.

١٨. سنن الترمذي: محمد بن سورة، أبو عيسى الترمذي، دار الحديث –القاهرة.

١٩. سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م، دار المعرفة – بيروت.

٢٠. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ١٤١١هـ –١٩٩١م، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢١. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

٢٢. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٣. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، ١٩٩٧م، مكتبة العلوم والحكم –المدينة المنورة.

٢٤. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: الحسن بن محمد بن حسين، نظام الدين النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ) تخريج: زكريا عميرات، الكتب العلمية، ط١٤١٦،١هـ –١٩٩٦م.

٢٥. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، ١٤٠٩، مكتبة الرشد – الرياض.

٢٦. المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، ١٤٠٦ –١٩٨٦مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.

٢٧. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) تحقيق: أحمد بن علي، وآخرون، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٤م، دار الحديث – القاهرة.

٢٨. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١١هـ –١٩٩٠م، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٩. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، عمان، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٠. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م.

٣١. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
٣٢. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م.
٣٣. المفردات في غريب القرآن: أحمد بن فارس الراغب الأصبهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة – بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م.
٣٤. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط١، ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.